الفصل الأول

الهجرة النبوية الشريفة
دروس وعبر

أولاً : مفهوم الهجرة .

ثانيًا : أسباب الهجرة الشريفة .

ثالثًا : أحداث الهجرة المباركة .

رابعًا : دروس وعبر الهجرة .

خامسًا : تطبيقات للهجرة الشريفة

obeikandi.com

أولا: مفهوم الهجرة:

إن الهجرة لها شأن عظيم فبها تَغَيَّر الإنسان، وتغير المكان، وتحددت بها مصير الجماعات، ولست مبالغًا عندما أقول: إن الهجرة كونت بل شكلت وأنشأت أممًا وحضارات أثرت في معالم البشرية، ولهذا كان يجب علينا أن نفهم ماهية الهجرة؟ وما هذه الكلمة ؟ وما مرادها؟

فالهجرة تعني: الترك والإعراض. والهجرة في حقيقتها نوعان، الأولى: هجرة مادية وهي الانتقال من مكان إلى مكان آخر، كما في قول الله ﷻ: ﴿ **وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴿١٠٠﴾ ﴾ (النساء: ١٠٠)

أما الهجرة الأخرى: فهي هجرة شعورية، وهي الانتقال من حالٍ إلى حالٍ داخل النفس البشرية، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ** ﴾ (المدثر:٥) وهي هجرة العادات السيئة، والصفات الذميمة.... إلخ، على نحو ذلك من الهجرات النفسية التي تكمن داخل النفس، وتخرج منها إليها.

ولما كانت الهجرة من أهم المكونات الأساسية في بناء الأمم الفاضلة والشعوب الإسلامية كانت سنةً لعددٍ من الأنبياء مثل سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي قال: ﴿ **وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا** ﴾ (مريم: ٤٨) فتنقل بين العراق، مصر، فلسطين، الحجاز، وكذلك أيضًا كان رسول الله موسى عليه السلام والذي تصادف ذكرى هجرته مع بني إسرائيل العاشر من محرم، حيث قال الله تعالى في شأنه: ﴿ **وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ** ﴾ (طـه:٧٧).

ويُعدُّ حادث الهجرة النبوية الشريفة من أهم الأحداث التي أثرت في المسلمين؛ وليس المسلمون فحسب؛ وإنما امتد تأثيرها لتشمل البشرية كلها إلى

وقتنا الحالي، فلم تكن هجرة الرسول الكريم ﷺ هربًا من المشركين، ولا خوفًا من واقع بئيس مقيت، ولم تكن هجرته ﷺ حبًّا في الشهرة، أو الجاه والسلطان. وكيف يكون ذلك؟ وقد جاءه أشراف مكة، وصناديدها ، وقالوا له: «فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا جِئْتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ تَطْلُبُ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا، حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَطْلُبُ الشَّرَفَ فِينَا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنَّ كُنْتَ تُرِيدُ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا»(1) ولكن نبينا الكريم ﷺ كان أسمى من أن يكون مقصوده حطام الدنيا وبهرج زينتها ، ولم تكن الهجرة النبوية المباركة التماسًا للهدوء وطلبًا للراحة، فهو يعلم يقينًا أنها دعوة حق ورسالة صدق، لا بد أن يؤديها على أتم وجوه التبليغ والأداء، كما أمره ربه جل وعلا؛ ولذلك نجده يقول ﷺ لِعَمِّه أبي طالب « يَا عَمِّ لَوْ وُضِعَتِ الشَّمْسُ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرُ فِي يَسَارِي مَا تَرَكْتُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ الله أَوْ أَهْلِكَ فِي طَلَبِهِ»(2)

إن سيرة المصطفي ﷺ لا تحدّ آثارها بحدود الزمان والمكان؛ فهي سيرة القدوة الحسنة، والعقلية الحكيمة، والقيادة الراشدة، إنها سيرة الرحمة المهداة، والمثل الراسخ ، والعلامة البارزة لكل المتطلعين نحو السمو والرقي، وتحقيق الأهداف المثاليَّة فهو المقياس البشري المثالي، الذي تقاس عليه أفعال العباد، فإن أردت أخي الكريم أن تختار قدوة فعليك أن تتَّبع النبي الكريم ﷺ ، فهو القدوة، وأنموذج الحكمة، فقد قال عنه الله ﷻ ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ ﴾ (النجم: ٢) وإن أردت أن تكون حليمًا ورحيمًا، فعليك أن تقتدي بمن زكَّاه الله ﷻ في حلمه، فقد قال ﷻ ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٤٣)، وإذا أردت أن تتعلم الخلق الحسن؛ فتمسك بخلق النبي ﷺ الذي زكَّاه خالقه، ومدحه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤).

فهجرته ﷺ شعلة توقد شموس الحياة، وتبعث بنورها أملاً جديدًا يملأ الدنيا سلامًا وأمنًا.

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير (١ / ٤٧٩).
(٢) السيرة النبوية لابن كثير (١ / ٤٦٣).

ألف وأربعمائة واثنان وثلاثون ١٤٣٢ عامًا مرت على هجرته ﷺ وصحبه من مكة – أم القرى – إلى المدينة (يثرب المجيدة)، هجرة نسائمها تملأ الأرجاء فخرًا وعزة .

ثانيًا : أسباب الهجرة الشريفة :

جاءت الهجرة لتكون نقطة فارقة في حياة البشرية؛ لتفرق بين الحق والباطل، وتميِّز بين الخير والشر، ولعل من أهم الأسباب التي أدت لحدوث هجرة النبي ﷺ من أحب بقاع الأرض إلى قلبه – مكة المكرمة – إلى المدينة المنورة، والتي تتركز في مجموعها على حرص النبي ﷺ على سير الدعوة الإسلامية نحو القلوب المغلقة، والعقول المقفلة، ومن تلك الأسباب أيضًا :

١- تعرض المؤمنين المستضعفين لأقسى أنواع العذاب وأشده من الكفار والتعرض إلى صنوف من ألوان العذاب التي تقشعر منها الأبدان، ومن أمثلة هؤلاء: الصحابي الجليل بلال بن رباح، وياسر بن عمار وأبويه ... وغيرهم الكثير، فكان لا بد من حدوث تلك الهجرة حتى تتسع رقعة الإسلام، ويتسنى للمتشوقين الدخول في الإسلام دون أن يصيبهم من العذاب ما أصاب غيرهم ممن استضعفوا قبلهم، وقد ازداد عدد المسلمين ازديادًا عظيمًا بعد الهجرة، وبالفعل كان فيها خلاص المؤمنين من هذا العذاب .

٢- الحصار الاقتصادي من قبل الكفار تجاه المسلمين بصفة عامة وبني هاشم بصفة خاصة؛ فنظرًا لعجز كفار قريش عن إيقاف توسع الدعوة الإسلامية؛ قرروا القيام بعمل حصار اقتصادي كامل تجاه المسلمين وبني هاشم، حيث قاموا بإعداد صحيفة تحث على المقاطعة، وقاموا بتعليقها في جوف الكعبة المشرفة؛ مما ترتب على تلك الصحيفة من آثار سيئة تجاه المسلمين وبني هاشم خاصة، حتى كادوا أن يأكلوا أوراق الشجر من شدة الجوع، وكان باستطاعة المسلمين أن يتحملوا ذلك كله لو أتيح لهم حرية القيام بنشر الدعوة الإسلامية بأرض الجزيرة العربية إلا أن هذه الصحيفة كانت حائلاً بينهم وبين الاتصال بباقي القبائل العربية في غير المواسم الدينية القليلة؛ مما ضيق عليهم إمكانية نشر الدعوة الإسلامية.

٣- وفاة المؤيدين للنبي ﷺ: لقد مَنَّ الله ﷻ على النبي ﷺ بمؤيدين له من أهله؛ يواسونه، ويخففون من آلامه، ويدافعون عنه، ويمنعون أذى الكفار من أن يصيبه؛ ومنهم السيدة "خديجة بنت خويلد" رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، حيث وقفت بجانبه بما لها من وجاهة، حيث نصَّبت نفسها مواسيًا لجراحه وآلامه، وكذلك عمه - أبو طالب - فقد وقف أيضًا بجانب النبي ﷺ وهو على كفره في جميع المواقف: يدافع عنه، ويحميه، وينتصر له، وهو من هو في مكانته ومقامه من قريش - لقد توفيا في عام واحد؛ فألحق ذلك حزنًا عميقًا في نفس النبي ﷺ بفقدهما، الأمر الذي يستوجب معه ضرورة الهجرة إلى مكان آخر؛ يجد فيه قومًا آخرين يدافعون عنه ويؤمنون به.

٤- كبرياء قريش وتعاليها: فكما هو معروف تاريخيًّا أن قريشًا كانت تتمتع بمكانة كبيرة بين العرب منذ القدم، حيث إنها حامية بيت الله تعالى الحرام الذي يجتمع فيه العرب جميعًا كل عام من شتى أرجاء الجزيرة العربية؛ للقيام بالحج، وأعمال التجارة ... وغيرها.

ثالثا: أحداث الهجرة المباركة:

إنها أحداث شاب ربَّاه ربُّهُ تبارك وتعالى، ولد يتيمًا في حياة كلها يُتم خالية من الإيمان، تسودها الخرافات وعادات الجاهلية، في صحراء تئن من الألم بما يسودها من الفواحش والمحرمات: يتحاكم فيها الناس إلى الكهنة والأصنام، وتسيل بداخلها أنهار من دماء الموءودات البريئات؛ نتيجة جهل المجتمع.

إن الهجرة المباركة كانت درسًا في الصبر، والتوكل على الله تعالى، ولم تكن طلبًا للراحة، ولا هربًا من عدوٍّ، ولا تهربًا من القيام بأعباء الدعوة، بل كانت بأمر الله تعالى في وقت كانت البشرية كلها أشد ما تكون إلى الهداية الربَّانية؛ ولذلك أرسل الله تعالى خير خلقه محمد ﷺ إلى البشرية، وهي أحوج ما تكون إلى رسالته، وأشدُّ ما تكون في حاجتها إلى دينه، بعد أن غرق الكثير في ظلمات الشرك، والجهل، والكفر؛ فأرسل الله عبده محمدًا ﷺ إلى الناس جميعًا، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا

ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (الأعراف: ١٥٨)

ولقد جاء رسول الله ﷺ لدعوة الناس إلى شهادة «لا إله إلا الله» بكل ما تضمنته هذه الشهادة من معنى: بإفراد الله تعالى وحده بالعبادة، وعدم الإشراك به شيئا، وتوحيد الله ﷻ بكافة أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، واتباع الله ﷻ في أوامره ونواهيه، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأعراف: ٣٣).

واتباع النبي ﷺ في كل ما يأمر، واجتناب كل ما ينهى عنه مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (الحشر: ٧).

لقد جاء نبيُّ الرحمة ﷺ يدعو الناس إلى العفاف، والطهر، والخلق الكريم والاستقامة على الطريق الصحيح، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والكف عن المظالم والمحارم، والدعوة إلى التحاكم إلى كتاب الله العزيز لا إلى الكَهَنة والأصنام وأتباع سنن الجاهلية، وجعل البشرية كلها أمام شريعة الله تعالى سواء لا يتفاضلون إلا بالتقوى، فقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٩٠).

وفي ظل تلك الظلمات الكثيفة من الشرك والطغيان، نزل روح القدس من عند الله ﷻ على الرسول الكريم ﷺ؛ ليبدأ رحلته في تغيير معالم البشرية من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن الظلم إلى العدل، ومن خُلُقِ الفواحش إلى حسن الخلق، ومن الرذيلة إلى الفضيلة، ومع هذا كله فإن رسول الله ﷺ السراج المنير، والرحمة المهداة، المبعوث للبشرية قاطبة جمعاء، والذي لم

يُرسل من رسول إلى البشرية كلها إلا هو - نجده تعرض لايذاءات كثيرة من أصحاب الجهل والكفر، وممن لا يريدون للحق أن يظهر ، ولم يكن للرسول الكريم ﷺ أن يأمر أصحابه بالهجرة إلا بعدما أمره الحق جل في علاه.

وبدأت الهجرة إلى بلاد الحبشة؛ وكان سبب اختيارها أن ملكها لا يَظْلِمُ، ويشتد الأذى برسول الله ﷺ؛ فيخرج بنفسه إلى الطائف، والتي ساء خلق أهلها له ﷺ، ويرجع إلى مكة المكرمة، وتمر الأيام، وتزداد الحياة ألمًا له وعذابًا، ويأمر النبي الكريم ﷺ أصحابه بالذهاب إلى يثرب، وفي ظل تلك المعاناة الشديدة التي تحيط بالنبي ﷺ وأصحابه، كان الكفار يتآمرون عليه، ويتعاونون، ويريدون الإطاحة بأشرف من مشى على الأرض ﷺ ، ولكن الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف: ٢١).

وبالفعل خرج عليهم النبي ﷺ بكلام الله تعالى، وكان أمنه ﷺ في كلمات الرحمن، فلم يتمكنوا منه؛ بل مَكَّنه الله تعالى منهم، وتركهم بكيدهم وحسدهم، وذهب في طريق هجرته إلى المدينة المنورة، وفي الوقت نفسه هجر بغضهم، بل وهجر الانتقام منهم، وكان له أن يقتلهم جميعًا وهم نيام، ولكنه ﷺ أُرْسِلَ رحمةً للعالمين، وبعث هاديًا، ولم يبعث قاتلاً؛ وبذلك فشلت المؤامرة التي عقدوها له في دار الندوة .

إن رسول الله ﷺ وبعون الله ﷻ قد هزم كل هؤلاء القبائل في لمحة، وفي الوقت نفسه هزم شيطانهم الذي أشار عليهم بأن تجتمع كل القبائل في قتله بأن يأتي من كل قبيلة شاب قوي، ويقتلوه جميعًا بضربة رجل واحد مرة واحدة ؛ فيتفرق دمه بين القبائل؛ وبذلك لا تستطيع عشيرته أن تأخذ بثأره .

فلما كانت عتمة الليل، اجتمعوا على بابه ينتظرون ساعة خروجه ؛ ليمكروا به ﷺ ، ولكن الله ﷻ مكر لنبيه ﷺ وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال: ١٠).

وساء مكر الماكرين؛ ولكن الله ﷻ هو خير الماكرين؛ لأنه ﷻ يمكر للخير وللنجاة وللحياة، أما مكرهم ففي الشر والقتل والهلاك، فكان الله ﷻ هو خير الماكرين؛ لأنه أنقذ نبيَّه ﷺ منهم، وأنقذهم من هذا الإثم الكبير، كما أن الله تعالى لم يأمر نبيَّه ﷺ بقتلهم أو بالثأر منهم .

وكذلك فالله خير الماكرين؛ لأن مكره لا ينكشف لهم؛ ولكن مكرهم السيئ يعرفه الله من قبل التفكير فيه .

فحينما اجتمع الكفار في دار الندوة للتشاور في أمر النبي ﷺ وأصحابه ، قَالَ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَام: «وَالله إِنَّ لِي فِيهِ لَرَأْيًا مَا أَرَاكُمْ وَقَعْتُمْ عَلَيْهِ بعدُ قَالُوا: وَمَا هُوَ يَا أَبَا الْحَكَمِ؟ قَالَ أَرَى أَنْ نَأْخُذَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ فَتًى شَابًّا جَلِيدًا نَسِيبًا وَسِيطًا فِينَا، ثُمَّ نُعطي كُلَّ فَتًى مِنْهُمْ سَيْفًا صَارِمًا ثُمَّ يَعْمِدوا إِلَيْهِ، فَيَضْرِبُوهُ بِهَا ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَيَقْتُلُوهُ، فَنَسْتَرِيحَ مِنْهُ. فَإِنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ جَمِيعًا، فَلَمْ يَقْدِرْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ عَلَى حَرْبِ قَوْمِهِمْ جَمِيعًا، فَرَضُوا مِنَّا بِالْعَقْلِ، فَعَقَلْنَاهُ لَهُمْ. قَالَ: فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: الْقَوْلُ مَا قَالَ الرَّجُلُ، هَذَا الرَّأْيُ الَّذِي لَا رَأْيَ غَيْرُهُ، فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ عَلَى ذَلك وهم مُجمعُون له»(١).

وفي هذه الساعة الخطيرة يقول النبي ﷺ لعلي بن أبى طالب - كرم الله وجهه - بكل ثقة في الله، وفي نجاته من على فراش النبي ﷺ وبخاصة بعدما أخبره رسول الله ﷺ بأنه لن يصيبه أي مكروه، فلم يتردد سيدنا علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - ونجح في الاختبار نجاحًا باهرًا؛ حيث أطاع الرسول ﷺ فيما أمره به، بل وضرب أعظم المثل في الفداء .

وخرج النبي ﷺ هو وصاحبه الصديق ﷺ من الدار إلى الغار - وهو غار «ثور» - وتركا الخاسرين ينتظرون الخيبة أمام بيته ﷺ والفشل ، وعندما جاء رجل لم يكن معهم قال لهم: ما تنتظرون؟ قالوا : محمدًا. قال: خبتم وخسرتم، لقد مر بكم، ونثر عليكم التراب .

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (٢ / ٩١) .

إن هذا التراب الذى على رءوس هؤلاء الماكرين إشارةً لهم ولنا على أن الله ﷻ خلقنا من تراب؛ فيجب علينا أن نترك التكبر والطغيان والظلم، فإن فوقهم ترابًا ويقفون على تراب، وهم ما بين التراب تراب، فلا داعي إلى هذه القسوة والغلظة مع عباد الله، وخاصة المؤمنين منهم، ثم بعدما استيقظوا، وأخذوا يزيلون التراب من على رءوسهم، وكأنهم في يوم البعث، تذكروا خيبة أملهم؛ لأن فشلهم بين أيديهم حقيقةٌ عينيةٌ، ثم نظروا فأبصروا عليًّا - كرم الله وجهه - فسألوه عن النبي ﷺ فقال لهم: لا علم لي به.

وقد استخدم رسول الله ﷺ التراب أيضًا في غزوة حنين؛ إذ أخذ بعضًا من التراب وقذفه في وجوه الكفار، روى عبد الله بن مسعود، قال: «كُنْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَالَ فَوَلَّى عَنْهُ النَّاسُ، وَثَبَتَ مَعَهُ ثَمانُونَ رَجُلًا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَنَكَصْنَا عَلَى أَقْدَامِنَا نَحْوًا مِنْ ثَمانِينَ قَدَمًا، وَلَمْ نُوَلِّهِمْ الدُّبُرَ، وَهُمْ الَّذِينَ أَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةَ، قَالَ: وَرَسُولُ الله ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ يَمْضِي قُدُمًا فَحَادَتْ بِهِ بَغْلَتُهُ فَمَالَ عَنْ السَّرْجِ، فَقُلْتُ لَهُ: ارْتَفِعْ رَفَعَكَ الله، فَقَالَ: نَاوِلْنِي كَفًّا مِنْ تُرَابٍ؛ فَضَرَبَ بِهِ وُجُوهَهُمْ فَامْتَلَأَتْ أَعْيُنُهُمْ تُرَابًا، ثُمَّ قَالَ أَيْنَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، قُلْتُ: هُمْ أُولَاءِ قَالَ: اهْتِفْ بِهِمْ فَهَتَفْتُ بِهِمْ فَجَاءُوا وَسُيُوفُهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ كَأَنَّهَا الشُّهُبُ وَوَلَّى الْمُشْرِكُونَ أَدْبَارَهُمْ»(١) وغادر رسول الله ﷺ سالمًا بدينه في ليلة «٢٧ من شهر صفر سنة ١٤» من النبوة، الموافق ١٢، ١٣ سبتمبر سنة ٦٣٣م» حسب تحقيق المحققين، وقد جاء إلى دار رفيقه الصديق ﷺ وقبل طلوع الفجر خرجا من مكة بأمر من الله تعالى بالهجرة، كما جاء في الحديث الشريف عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُما قَالَ: «أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ فَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَمَكَثَ بِهَا عَشْرَ سِنِينَ، ثُمَّ تُوُفِّيَ ﷺ»(٢).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، باب: مسند عبد الله ابن مسعود، رقم ٤١٠٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه، رقم ٣٦٢٩.

ووصل رسول الله ﷺ إلى الغار ومعه صاحبه، وهنا نجد التضحية من سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ عندما يقول للنبي ﷺ «كَمَا أَنْتَ حَتَّى أُدْخِلَ يَدِي فَأُحِسَّهُ وَأَقُصَّهُ، فَإِنْ كَانَتْ فِيهِ دَابَّةٌ أَصَابَتْنِي قَبْلَكَ»(١).

ومن هنا نتعلم معنى الصداقة وقيمتها ، ونتأمل فيما يفعله الصديق ﷺ وأخلاقه الكريمة؛ ويظهر ذلك جليًّا في موقفه مع الرسول ﷺ عندما وجد الصديق ﷺ في الغار أكثر من ثقب؛ فيشق ثوبه ويسد تلك الثقوب ، كما شقت ابنته أسماء رضي الله عنها من قبل نطاقها إلى نصفين لتحمل فيهما الطعام إلى نبي الله ﷺ فلا يراها أحد؛ ولذلك سميت بذات النطاقين فعَنْ أَسْمَاءَ رَضِيَ الله عَنْهَا: « صَنَعْتُ سُفْرَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ حِينَ أَرَادَا الْـمَدِينَةَ، فَقُلْتُ لِأَبِي : مَا أَجِدُ شَيْئًا أَرْبِطُهُ إِلَّا نِطَاقِي قَالَ: فَشُقِّيهِ فَفَعَلْتُ فَسُمِّيتُ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ»(٢) .

ولكن بقي في الغار ثقبان؛ فألقمهما أبو بكر رجليه ، ثم قال لرسول الله ﷺ ادخل فدخل ، ووضع رأسه ﷺ في حجر صاحبه الصديق ﷺ ونام ، فلدغت حيَّةٌ أبا بكر الصديق ﷺ ، فلم يتحرك لكيلا يستيقظ الرسول ﷺ من نومه ، ولكنه من شدة الألم تدمع عيناه ، فتسقط من دموعه الكريمة على وجه رسول الله ﷺ ، فيقول له الرسول ﷺ : «ما لك يا أبا بكر ؟ فيقول : لدغت، فداك أبي وأمي يا رسول الله ، فيتفل رسول الله ﷺ على مكان اللدغ ، فيبرأ ويذهب عنه الألم ».

وأثناء تلك المعاناة الكبيرة في رحلة الهجرة المشرفة فإن كفار قريش جُنَّ جنونهم، وذلك بعد إفلات رسول الله ﷺ منهم، ولكنهم لم ييأسوا من اللحاق به، فظلوا يطاردون الرسول ﷺ بل واستطاعوا أن يصلوا إلى غار رسول الله ﷺ، ولكن عناية الله سبحانه تمنعهم من النظر تحت أقدامهم ؛ حتى لا يروا النبي ﷺ وصاحبه ﷺ. وقد جاء هذا الحوار في الحديث الشريف ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ ﷺ قَالَ: « كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِأَقْدَامِ

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٢ / ٢٣٧) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، باب: هجرة النبي ﷺ، رقم (٣٦١٧).

الْقَوْمِ؛ فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللهِ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ طَأْطَأَ بَصَرَهُ رَآنَا، قَالَ: اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ اثْنَانِ اللهُ ثَالِثُهُمَا »[1] .

وعبر الحديث الشريف عن عناية الله ﷻ لحبيبه المصطفى ﷺ في قول سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ حين قال : لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا، ولم يقل لرآنا أو سوف يرانا، وهذا يدل على سرعة الرؤية إن نظروا تحت أقدامهم ، وهذه هي لغة الحديث الشريف ، وهي لغة بلاغية راقية المستوى.

وقد سجل لنا القرآن الكريم تلك القصة النبوية الشريفة: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٤٠).

ونصر الله تعالى نبيه ﷺ وخرج هو وصاحبه من الغار، وقد استأجرا الصاحبان عبد الله بن أريقط الليثي ، وكان ماهرًا بالطريق ، وهنا قد شَّرع لنا الإسلام استخدام أي إنسان من غير المسلمين، ولا حرج في ذلك ما دام ذلك لصالح الدعوة ولصالح الدين، وقد تبعهم في الطريق سُراقة بن مالك ، ومعه رمحه وسهمه وفرسه؛ للقبض عليهما للفوز بالجائزة الكبيرة التي أعدَّتها قريش لذلك ، حتى قرب منهما فعثر به فرسه؛ وكلما قرب منهما ساخت أقدام فرسه في الرمال، وكأن الحيوان يفهم القضية ! وفارسه وراكبه (الإنسان) لا يفهم ذلك إلا بعد أن رأى آيات ربه ، وعلم أن الله معهما ينصرهما، كما جاء في حديث النبي ﷺ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ ﷺ قَالَ : «لما أَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْـمَدِينَةِ تَبِعَهُ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَسَاخَتْ بِهِ فَرَسُهُ، قَالَ ادْعُ اللهَ لِي وَلَا أَضُرُّكَ فَدَعَا لَهُ»[2] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، باب: هجرة النبي ﷺ، رقم: (٣٦٢٩).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، باب: هجرة النبي ﷺ رقم: (٣٩٠٨).

openkanz.com

وهكذا نجده يطلب الأمان من رسول الله ﷺ، فأعطاه الرسول الكريم ﷺ ذلك الأمان ، بل وأعطاه وعدًا بأنه سيلبس سوارى كسرى ؛ ليستغني بها عن جائزة الكفر والكافرين، وبالفعل صدق رسول الله ﷺ في بشراه حيث فتح الله على سيدنا عمر بن الخطاب في القادسية ، وغنم المسلمون الفرس وما يملكونه.

عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالَ: أُتِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ بِغَنَائِمَ مِنْ غَنَائِمِ الْقَادِسِيَّةِ، فَجَعَلَ يَتَصَفَّحُهَا وَيَنْظُرُ إِلَيْهَا وَهُوَ يَبْكِي، وَمَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذَا يَوْمُ فَرَحٍ، وَهَذَا يَوْمُ سُرُورٍ، قَالَ: فَقَالَ: « أَجَلْ ».(١)

وهنا لا ينسى سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ وعد النبي ﷺ لسراقة بن مالك، بأنه سيلبس سوارى كسرى فيناديه ويلقي إليه بهم .

عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ أُتِيَ بِفَرْوَةِ كِسْرَى فَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَفِي الْقَوْمِ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، قَالَ: فَأَلْقَى إِلَيْهِ سِوَارَيْ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ فَجَعَلَهُمَا فِي يَدِهِ، فَبَلَغَا مَنْكِبَيْهِ، فَلَمَّا رَآهُمَا فِي يَدَيْ سُرَاقَةَ قَالَ: « الْحَمْدُ للهِ، سُوَارَيْ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ فِي يَدِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ أَعْرَابِيٍّ مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ »(٢). قال الشافعي رحمه الله : وإنما ألبسهما سراقة لأن النبي ﷺ قال لسراقة ونظر إلى ذراعيه : « كأني بك قد لبست سواري كسرى»(٣)

وكما روى حُبيش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ مر رسول الله ﷺ في طريقه إلى المدينة بخيمة "أم معبد" الخزامية فنظَرَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ إِلَى شَاةٍ فِي كِسْرِ الْخَيْمَةِ ، فَقَالَ : «مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ ؟ » قَالَتْ : خَلَّفَهَا الْجَهْدُ عَنِ الْغَنَمِ، قَالَ: «فَهَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ ؟ » قَالَتْ : هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : « أَتَأْذَنِينَ

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٦ / ٥٨٢) .
(٢) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٦ / ٥٨٢) .
(٣) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٦ / ٥٨١) .

أَنْ أَحْلُبَهَا؟»، قَالَتْ : بَلَى بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، نعَمْ إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلْبًا فَاحْلُبْهَا ، فَدَعَا بِهَا رَسُولُ الله ﷺ ، «فَمَسَحَ بِيَدِهِ ضَرْعَهَا وَسَمَّى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَدَعَا لَهَا فِي شَاتِها ، فَتَفَاحَتْ عَلَيْهِ وَدَرَّتْ واجْتَرَّتْ ، وَدَعَا بِإِنَاءٍ يُرْبِضُ الرَّهْطَ فَحَلَبَ فِيهَا ثَجًّا حَتَّى عَلاهُ الْبَهَاءُ، ثُمَّ سَقَاهَا حَتَّى رُوِيَتْ ، وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوَوْا، وَشَرِبَ آخِرَهُمْ ﷺ ، ثُمَّ أَرَاضُوا ثُمَّ حَلَبَ فِيهَا ثَانِيًا بَعْدَ بَدْءٍ حَتَّى مَلأَ الإِنَاءَ ، ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا ثُمَّ بَايَعَهَا وارْتَحَلُوا عَنْهَا »(١)

إن هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة كانت هي الهجرة الكبرى ، ولكن هناك أيضًا العديد من أنواع الهجرة ، مثل : الهجرة إلى الحبشة ، وهناك هجرة النفوس والقلوب من أحوال الكفر إلى أحوال الإيمان ، ومن دار الاضطهاد إلى دار الاطمئنان والاستعداد .

لقد كان الهدف من الهجرة النبوية المشرفة ؛ هي أن ينتقل الرسول ﷺ بالقرآن من حال الحفظ والقراءة إلى حال التطبيق العملي؛ ليُعَلِم أصحابه ويعطيهم الفرصة لأن يغيّروا ما بأنفسهم ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ (الرعد: ١١) وعلموا كذلك أن الإسلام هو الوطن ، وليس المكان الذي يولد فيه الإنسان هو الوطن ، وأنهم لا بد أن يغيروا ما بأنفسهم إلى الأفضل؛ لأن نعمة الإسلام أو أي نعمة أخرى لا يغيرها الله ﷻ ولا يسلبها إلا إذا تغيرت النفوس إلى الشر وتخبط السلوك، عند ذلك يغير الله ما بهم من نعمة لم يراعوها حق رعايتها ، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ (الأنفال: ٥٣).

فاللهم يا رب الهجرة امنحنا نفوسًا مهاجرة إليك ، وأرواحًا تحبك وتهفو إليك.

---

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير(٤ / ٤٨) .

وهناك **هجرة القلوب**: وهي الهجرة إلى الله تعالى، وهي هجرة دائمة يهاجر المؤمن بها من حال إلى حال ، من حال الذنوب إلى حال التوبة ، ومن حال التوبة إلى حال القرب، ثم يهاجر من قرب إلى قرب ، وتظل الهجرة دائمة إلى أن تطمئن النفس إلى مكانتها وقربها عند ربها ﷻ؛ حتى تسمع النداء من الحق ﷻ ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾ (الفجر: ٢٧ – ٢٨) .

وفي هذه الحالة ينبثق نورها ، ويظهر فجرها ، وتولد من جديد؛ فتسلك طريق الصالحين المخلصين .

إن هجرة رسول الله ﷺ وأصحابه من مكة إلى المدينة سبقتها هجرة معنوية، وهي هجرة أصحاب النبي ﷺ وتركهم دنس القول إلى طهارة الكلمة، وهجروا ظلام الجهل إلى نور الحقيقة واليقين، هجروا الهبوط إلى العلو والسمو، هجروا البطش والإيذاء إلى المعاونة على البر والتقوى، هجروا باللسان من الكلام في حق الناس إلى تلاوة القرآن الكريم، وتحولوا من التغني بالأشعار إلى التدبر بالذكر الحكيم ، هجروا التلصص على خلق الله إلى التفكر في معجزات الله ﷻ ورؤية الحق والخير والجمال، والنظر إلى أسرار الكون من حولهم.

هجروا بقلوبهم الحقد والحسد إلى الحب والخير ، هجروا المكر السيئ إلى التفكير في بناء عالم إسلامى جديد، وعرفوا جميعًا أن وطن المؤمن هو الإسلام، وليس الوطن أرضًا ينزل به ، وإنما وطنهم الحقيقي هو العقيدة الإسلامية، وليس بلدة محدودة بأسوار، إن وطن المؤمن فسيح ؛ حيث الكرامة والعزة ، فإذا لم تكن العقيدة هي الوطن فلا قيمة لأي وطن آخر .

فرحة أهل المدينة بقدوم الرسول ﷺ :

لقد دخل النبي ﷺ المدينة المنورة وغير اسمها، لأنها كانت تسمى "يثرب" من التثريب، ولأن التثريب بمعنى التوبيخ ، فسمَّاها النبي ﷺ (المدينة

المنورة)، فعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ« كَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ يَثْرِبَ وَالْـمَدِينَةَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَمَّاهَا طَابَةَ، قَالَ سُرَيْجٌ يَثْرِبُ الْـمَدِينَةُ »(١).

فهي مدينة رسول الله ﷺ بالعزة والكرامة وبالإسلام، وسماها النبي الكريم "طابة" ، فعَنِ الْبَرَاءِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ «مَنْ سَمَّى الْـمَدِينَةَ يَثْرِبَ فَلْيَسْتَغْفِرْ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ هِيَ طَابَةُ هِيَ طَابَةُ »(٢).

ودخل النبي ﷺ على أهل المدينة، وهو يركب ناقته "القصواء" ولم يركب الجمل أو الحصان أو الحمار ، وهذه إشارة إلى أنه ﷺ كامل الأخلاق، فالناقة إذا بركت في صحن دار أحدهم جاءت بعدها البركة والخير، وما سميت البركة بهذا الاسم إلا لبروك الناقة؛ أي: حلول الخير واستقراره في البيت؛ لأنها علامة الخصوبة، وكل ما في الناقة هو خير وبركة ، ولها أربع فوائد مهمة :

١- تُركب .

٢- يُحمل عليها الأحمال .

٣- يُؤكل لحمها ويشرب لبنها .

٤- تلد غيرها من النوق ، ففيها زيادة الخير والبركة .

ولهذه الأسباب دخل النبي ﷺ المدينة على ناقة؛ إشارةً للخير الداخل عليهم، ولم يدخل عليهم وهو يركب الخيل؛ لأن الخيل فيه خيلاء الملوك والأمراء؛ فلذلك وجدناه ﷺ يدخل المدينة بالناقة، فهو ﷺ لا يحتاج الحصان؛ لأنه في حصن الله تعالى وفي حماية ربه ؛ ولأن الحصان سُمِّي بذلك؛ لأن راكبه يتحصن به من عدوه، وهو ﷺ يدخل على أصحابه رضوان الله تعالى عنهم ، وهم في استقباله وفي استقبال الخير والسلام ، وليسوا في استقبال الحرب والظلمة والخيلاء . وفي الوقت نفسه لم يركب ﷺ الحمار؛ لأن الحمار مهانة ،

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الكوفيين، باب: حديث جابر بن سمرة السوائي، رقم (٢١٠٢١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الكوفيين، باب: حديث البراء بن عازب، رقم (١٨٥١٩).

وخيره ناقص ، فهو يُرْكَبُ ، وَيُحْمَلُ عليه ، كما أنه لا يؤكل لحمه ، ولا يُشرب لبنه ، وهو رمز ليس فيه شيء من علو، مثل : الناقة التي هي علو مع تواضع ، أما الحمار فهو رمز لا يليق بالنبي ﷺ أن يركبه في مثل هذه الظروف، وكذلك لم يركب النبي ﷺ الجمل ؛ لأن (الجمل) ناقص ، فهو لا يلد مثل الناقة ، ولا يُدِرُّ لبنًا؛ ولذلك نجد النبي ﷺ يريد أن يدخل على أهل المدينة ببشرى الخير وَالسلام وكمال النعمة .

رابعًا : دروس من الهجرة الشريفة وعبر .

١- كما صبر رسول الله ﷺ وأصرَّ على عقيدته مع ما كان يلاقيه من قومه ﷺ، فلابد لنا أن نصبر على ديننا أسوة به ﷺ والصبر على الطاعة أقوى من الصبر على المعصية، فعلينا بالإصرار والتمسك به في تقوانا .

٢- بينت الهجرة النبوية المشرفة أن الجهر بها يرهب العدو؛ ولذلك كانت هجرة سيدنا عمر ﷺ عظيمة القدر .

٣- إن تفكير الأشرار دائمًا ما يكون في العنف والقتل ؛ لأنهم لا يملكون حجة حقيقية؛ لذلك لم يقم الكفار الحوار مع رسول الله ﷺ؛ ذلك لأن قضيتهم خاسرة ، فلم يكن لهم سبيل إلا القتل والإرهاب.

٤- نأخذ درسًا في الفداء والتضحية من المسلم الأول من الشباب سيدنا "علي" - كرم الله وجهه - عند نومه دون خوف في فراش النبي ﷺ ، وهو يعلم أن سيوف الكفار جاهزة لقتله .

٥- حقد الكفار على نبي الله محمد ﷺ ، وحسدهم له مع أنهم يطلقون عليه الصادق الأمين إلا أنهم كذبوه وحاربوه، عندما قال لهم «لا إله إلا الله» حقدًا عليه وحسدًا ؛ لأنه خير منهم سيرة وأنقى سريرة ؛ وهذا يدل على تذبذب أهل الكفر.

٦- مع يقين سيدنا محمد ﷺ من نصر الله تعالى له على الكفار ؛ إلا أنه اتَّبع الأسباب في خطته للهجرة، ولم يترك أمر الهجرة للقدر؛ ليعلمنا الأخذ بالأسباب .

٧- اشتراك السيدة عائشة رضي الله عنها وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وسيدنا علي- كرم الله وجهه - وعبد الله بن أبي بكر في الهجرة بَيَّنَ دور الشباب في أي إصلاح أو نجاح، فمشاركة الشباب في بداية الدعوة كانت لها قوة حيث حملوا أعباء الدعوة بقوة الشباب، وبمساندة حكمة الكبار .

ودلَّ اشتراك السيدة عائشة، والسيدة أسماء رضي الله عنهما في الهجرة على حاجة الدعوة إلى المرأة بجانب الرجل؛ تسانده وتؤيده، فهي التي تُعَلِّم الصغار الدين وتنشئهم على العفة والطهارة، وإن صغر سن السيدة عائشة رضي الله عنها؛ أعطى امتدادًا محمودًا ، وتعليمًا مستمرًّا للدعوة بعد وفاة النبي ﷺ.

٨- إن عناية الله بنبيه ﷺ وللدعوة تتضح لنا جليًّا في وصول المشركين عند الغار، وعميان أبصارهم عن النبي ﷺ، وذلك لنذكر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾ (الحج: ٣٨)، ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾ (غافر: ٥١) .

٩- من خوف سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ على رسول الله ﷺ في الغار عرفنا ما ينبغي أن يكون عليه الجندي في الميدان أو في الدعوة ، وهو شدة الخوف على قائده، والحرص عليه والدفاع عنه ، فالصديق ﷺ كان لا يخاف على نفسه، إنما كان يخشى على الدعوة الإسلامية وعلى قائدها.

١٠- اطمأن الصديق ﷺ لرسالة النبي ﷺ أكثر وأكثر من المعجزات التي حدثت معهم ، وهم في طريقهم إلى المدينة مثل: الغار ، وشاة أم معبد التي أصبحت تدر لبنًا بعد جفافها ببركة النبي ﷺ ، وهزيمة سراقة وفرسه، وتحوله من الكفر إلى الإيمان في لحظة؛ فبعد أن كان خطرًا كبيرًا عليهما بل وعلى رسالة الإسلام؛ أصبح هو المدافع عنها وعنهما ، وعَلِمَ الصديق ﷺ وعَلِمنا معه أن صاحب هذه الدعوة مؤيد من قوة عليا هي قوة الله سبحانه وتعالى (العلي العظيم) .

وقد طلب سراقة من النبي ﷺ الأمان ؛ فأعطاه الأمان، كما مر بنا عن الْبَرَاءَ ﷺ «لما أَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْـمَدِينَةِ تَبِعَهُ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَسَاخَتْ بِهِ فَرَسُهُ، قَالَ: ادْعُ اللهَ لِي وَلَا أَضُرُّكَ فَدَعَا لَهُ»(١) بل ووعده بهدية في المستقبل تعوضه عن هدية الكافرين له ، وعده بأنه سيلبس سوارى كسرى، وهذه معجزة حدثت بعد وفاة النبي ﷺ ، وقد تحقق وعد الرسول ﷺ ونفذ سيدنا عمر ﷺ وعد الرسول ﷺ له حين رأى سوارى كسرى في الغنائم، عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ أُتِيَ بِفَرْوَةِ كِسْرَى فَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَفِي الْقَوْمِ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، قَالَ: فَأَلْقَى إِلَيْهِ سِوَارَيْ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ فَجَعَلَهُمَا فِي يَدِهِ، فَبَلَغَا مَنْكِبَيْهِ، فَلَمَّا رَآهُمَا فِي يَدَيْ سُرَاقَةَ قَالَ: « الْحَمْدُ لله، سُوَارَيْ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ فِي يَدِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ أَعْرَابِيٍّ مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ »(٢).

لقد ألبس عمر سراقة ما وعده نبي الله ﷺ على ملأ من الصحابة؛ لكي يعلم الجميع ونحن معهم أن وعد الله حق، وصدق الله في النصر، وأن الرسول الكريم ﷺ له نظرة مستقبلية ورؤيته أوسع وأشمل .

ونعلم أن سراقة قد تخلى عن جائزة مادية بسيطة؛ فكانت له جوائز كثيرة، فأول جائزة له هي الإيمان الذي سيدخل به الجنة، وجائزة سوارى كسرى، وذلك لأنه آمن وصبر .

١١- إن أول ما فعله النبي ﷺ بعد الهجرة أنه وضع الأساس الإيماني للأمة الإسلامية ببنائه أول مسجد في الإسلام ؛ لأن المسجد هو أساس الدولة الإسلامية، ومقر قيادتها الحقيقي، فلم يَبْنِ الرسول الكريم ﷺ متجرًا ، أو مزرعة، أو سوقًا، وإنما بنى ﷺ أساس العقيدة ، وأساس الحكم ، وهو مسجد قباء الذى وحد المسلمين، وعلّمهم فيه وبين لهم كيف يكون الإسلام.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، باب: هجرة النبي ﷺ رقم: (٣٩٠٨).
(٢) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٦/ ٥٨٢).

١٢- فرحة أهل المدينة بقدوم الرسول ﷺ فلماذا لا نفرح نحن كذلك به في كل لحظة نتذكر فيها هجرته ﷺ ودخوله بالخير على المدينة؟! لماذا نحرم أنفسنا من هذه الفرحة ونحن إذا فرحنا به فرح بنا ﷺ ؟!

وعندما نتذكر الهجرة نتذكر ما كان بيد رسول الله ﷺ من قوة مادية بسيطة؛ هزم بها قوة الكفر الكبيرة وذلك بروح الإيمان.

إن الهجرة النبوية المشرفة سبقتها هجرة القلوب والنفوس؛ فصارت أرضًا لكل أحباب الطهر والنقاء، والحرية والحق، والوفاء والشجاعة، ففي الهجرة إرادة التغيير إلى الأفضل والأحسن، وليست الهجرة لتغيير المكان، بل للتغيير الوجداني والنفسي أيضًا.

وتأتينا الهجرة في كل عام، وكأنها الربيع يفوح منها رائحة الورود، وتؤكد لنا هذه الذكرى أن حق المسلمين المقدس لا يأتي إلا بالصبر والكفاح، والتخطيط المحكم، والتمسك بالإيمان والأمل في نصر الله تعالى مع الأخذ بالأسباب.

وهناك أحاديث شريفة رسمت لنا ملامح الهجرة.

عَن عَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيَّ قال: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» (١).

إن أول الأعمال هي النية، ولم يعد هناك هجرة بعد الفتح، إنما الهجرة: جهاد النفس، والنية فيها كما علمنا النبي ﷺ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ الْفَتْحِ «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا» (٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: بدء الوحي، باب: بدء الوحي، رقم الحديث: ١.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: وجوب النفير، وما يجب من الجهاد والنية، رقم (٢٨٢٥).

إن التخلي عن الذنب ثم التوبة بعده هجرة نفسية وروحية، وإن ترك حياة اللهو والعبث ثم الذهاب إلى الله ورسوله ﷺ، والانغماس في العبادة بنية التغيير النفسي إلى الأحسن هجرة ؛ تحقيقًا لما جاء في الحديث الشريف السابق .

عَن عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا كَانَ رسول الله ﷺ يَقُولُ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَالْفَتْحِ»[1].

لقد كان المؤمنون يفرون بدينهم في أول الأمر إلى الله ورسوله؛ مخافة الفتنة، أما اليوم فقد انتشر الإسلام ، واليوم أنت تعبد ربك حيث تشاء فلا هجرة مكانية إنما هي جهاد النفس، وهجرة الذنوب والآثام، والفرار إلى الله تعالى بأداء أركان الإسلام .

وعَنْ أَسْمَاءَ رَضِيَ الله عَنْهَا صَنَعْتُ سُفْرَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ حِينَ أَرَادَا الْـمَدِينَةَ فَقُلْتُ لِأَبِي مَا أَجِدُ شَيْئًا أَرْبِطُهُ إِلَّا نِطَاقِي قَالَ فَشُقِّيهِ فَفَعَلْتُ فَسُمِّيتُ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ «أَسْمَاءُ ذَاتَ النِّطَاق »[2].

وهذا الحديث الشريف بَيَّن لنا سبب تسمية أسماء بنت أبي بكر بذات النطاقين، وأنها في الصدق مثل أبيها الصديق؛ لأنه هو كذلك شق ثوبه في الغار، شق ثوبه إلى أكثر من رقعة ؛ ليحمى به النبي ﷺ من الخطر ، وابنته كذلك أسماء حيث فعلت مثل ما فعل إكرامًا للنبي ﷺ ، ولأبيها الصديق فهي صاحبة النطاقين، وصاحبة الحبيبين «النبي والصديق» في الهجرة .

الحديث الشريف عن سراقة وفرسه :

عن أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ قَالَ «أَقْبَلَ نَبِيُّ ﷺ إِلَى الْـمَدِينَةِ، وَهُوَ مُرْدِفٌ أَبَا بَكْرٍ وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ وَنَبِيُّ الله ﷺ شَابٌّ لَا يُعْرَفُ قَالَ : فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب : المناقب ، باب : هجرة النبي ﷺ وأصحابه ، رقم (٣٨٩٩)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه، رقم (٣٩٠٧)

فَيَقُولُ : يَا أَبَا بَكْرٍ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ فَيَقُولُ : هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ قَالَ: فَيَحْسِبُ الْحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ فَالْتَفَتَ أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا هُوَ بِفَارِسٍ قَدْ لَحِقَهُمْ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا فَارِسٌ قَدْ لَحِقَ بِنَا فَالْتَفَتَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اصْرَعْهُ فَصَرَعَهُ الْفَرَسُ ثُمَّ قَامَتْ تُحَمْحِمُ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ مُرْنِي بِمَا شِئْتَ قَالَ فَقِفْ مَكَانَكَ لَا تَتْرُكَنَّ أَحَدًا يَلْحَقُ بِنَا قَالَ فَكَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ جَاهِدًا عَلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ وَكَانَ آخِرَ النَّهَارِ مَسْلَحَةً لَهُ فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَانِبَ الْحَرَّةِ ثُمَّ بَعَثَ إِلَى الْأَنْصَارِ فَجَاءُوا إِلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ ﷺ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِمَا وَقَالُوا ارْكَبَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ ؛ فَرَكِبَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَحَفُّوا دُونَهُمَا بِالسِّلَاحِ فَقِيلَ فِي الْمَدِينَةِ جَاءَ نَبِيُّ اللهِ جَاءَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فَأَشْرَفُوا يَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ جَاءَ نَبِيُّ اللهِ جَاءَ نَبِيُّ اللهِ» (١) .

وكان الصديق ﷺ أكبر المهاجرين، وكان معروفًا عندهم؛ لأنه كان يمر بالتجارة بأهل المدينة، أما قول أبي بكر ﷺ في الحديث الشريف على النبي ﷺ عندما سئل، قال: يهدينى السبيل ؛ ذلك أن النبي ﷺ قال لأبي بكر إلْهِ الناس عنى ، فكان إذا سُئِلَ من معك ؟ قال: هادٍ يهديني، وهو يريد الهداية في الدين، ويحسبه الآخر أن سيدنا محمد ﷺ يعمل دليلا لأبى بكر ﷺ يهديه الطريق .

أما الفارس في الحديث الشريف فهو سراقة .

وقال سراقة : الحمد لله الذي سلب كسرى سواريه ، وألبسهما سراقة ابن جعشم الأعرابي .

وهذا يدل على عزة الإسلام لأصحابه ، فهذا كسرى الملك العظيم بنفسه هزمه الإسلامُ ، ورفع سراقةَ وألبسه ملبسه ، وهو الأعرابي البسيط ، لكنه بالإسلام قد أعزه الله، وحقق مراده ، فلا عزة إلا لله ﷻ.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : المناقب ، باب : هجرة النبي ﷺ وأصحابه ، رقم: (٣٩١١) .

وقد روى عن أنس ﷺ، قال : مر رسول الله ﷺ على جواري بني النجار وهن يضربن بالدف ، ويقلن : نحن جوار من بني النجار ياحبذا محمد من جار، فقال نبي الله : « اللهم بارك فيهن »[1].

وأنشد بعضهم قائلا :

طلع البدر علينا من ثنيّات الوداع ... وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيُّها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع ... جئت شرفت المدينة مرحبًا يا خير داع

خامسًا : تطبيقات للهجرة الشريفة :

بعد أن تعرفنا على أهم الأسباب التي أدت إلى حدوث الهجرة، والدروس التي أثمرت عنها ، يأتي الحديث عن كيفية تطبيق دروسها في تطبيقات حياتنا من أجل بناء أمة إسلامية، عاليَة الشأن، وتتمثل أهم تطبيقات الهجرة الشريفة فيما يلي :

١- العمل على تنمية طاقات الشباب، ودفعهم إلى الأمام ، واستغلال ما بداخلهم من طاقة عظيمة تمكنهم من تغيير الوضع الحالي، فقد قَدَّم سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ دورًا عظيمًا في الهجرة، حين نام ﷺ في مكان الرسول الكريم ﷺ، وهو يعلم أن قريش ستهوى عليه؛ ولكن إيمانه بالدعوة ثبته وشجعه حتى أدَّى دوره على أحسن وجه .

٢- الرفع من شأن المرأة، وحثها على التقدم، وعدم التقليل من شأنها في المجتمع، فهي مَنْ بإمكانها أن تُخْرِجَ لنا دعائمَ لبناء أمة إسلامية قوية تعمل على رفع راية الإسلام عالية مرفوعة، ولا يستطيع أحد أن ينكر الدور الذي أدته أسماء بنت أبي بكر- رضي الله عنهما - عندما صمدت أمام قادة قريش، وأبت أن تفشي سر رسول الله ﷺ ، علاوة على ما قامت به أثناء الرحلة العظيمة من حرصها على أن تقدم المؤن للرسول الكريم ، وتذهب إليه بالطعام والشراب .

---

(١) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (٧/ ٤٢٩) .

٣- الالتحام فيما بين المسلمين، والتعاون والثبات أمام الأزمات والحرص الدائم على أن يكون هدفنا واحدًا، نسعى إليه دائمًا من أجل الوصول إليه وأن نتخلى عن روح العصبية التي تؤدي بنا إلى الانقسام، ومن ثم إلى الانهزام الذي نجني ثماره مُرَّةً، ولا يخفي علينا ما كان بين المهاجرين والأنصار من تلاحم وإيثار، وهم ليسوا أبناء بلد واحد، وإنما قد جمعهم الإسلام؛ ليوحد كلمتهم، وهدفهم في الحياة ، وهو بناء دولة إسلامية عالية الشأن .

٤- أن يتذكر شبابنا أن الصبر نهايته سعيدة، إلا أنه يجب أن يكون مصحوبًا بالتوكل على الله والأخذ بالأسباب ، فعلى شبابنا أن يسعوا في عملهم مع الصبر وأن يجتهدوا ويؤمنوا دائمًا بأن بعد العسر يسرا.

٥- أن نضع ثقتنا في الله تعالى ، وأن نكون على يقين تام بأن الله ﷻ سيخرجنا من حالنا هذا، كما أخرج رسوله الكريم ﷺ من ظلام الجاهلية إلى نور الإسلام .

obeikandl.com